حسبي الله في ضوء القرآن الكريم "دراسة موضوعية"

إعداد

حليمة فهم مُحَمَّد السُّلمي

طالبة الماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن

جامعة المدينة العالمية

الدكتور/ السيد سيد أحمد مُحَمَّد نجم

الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن

جامعة المدينة العالمية

ملخص:

يُعنى هذا البحث بموضوع: (حسبي الله في القرآن الكريم "دراسة موضوعية")؛ وذلك لأهمية معرفة أفعال الله تبارك وتعالى، والأخذ بالأسباب الموجبة لحصول آثارها في حياة العبد المسلم، وتتمثل مشكلة البحث في دراسة فعل الله تعالى "الحسب" في القرآن الكريم، ومعرفة أسباب حسب الله تعالى لنبيه ﷺ ولعباده المؤمنين، والحاجة الماسة إلى الأخذ بهذه الأسباب في واقعنا المعاصر للفرد المسلم خاصة، وللمجتمع الإسلامي عامة. من خلال تتبع لفظ" الحَسْب" في القرآن الكريم، وبيان دلالاته في سياق الآيات الكريمة، ومعرفة أسباب حسب الله الخاص للعباد المؤمنين، وموانع هذه الحسب، وثمراته، واستنباط آثارها في حياة العبد المسلم.

وقد توصلت الدراسة للنتائج التالية:

أنه يجب على العبد المؤمن المعرفة اليقينية بأفعال الله تبارك وتعالى، ومنها الحسب، وإفراده بذلك سبحانه وتعالى، وعدم التفات القلب إلى غيره في استجلاب مصلحة أو دفع مضرة، مع السعي إلى غرس هذه العقيدة في قلوب المسلمين عامة؛ صغارهم وكبارهم عند جميع المواقف والأحوال اليومية للعباد، والأخذ بأسباب هذه الحسب؛ لتحصيل ثمرته الطيبة في الدنيا بالعِز والتمكين والسيادة، وفي الآخرة بالأمن عند الموت ويوم الفزع الأكبر، وتحقيق الفوز العظيم بجوار الرب الكريم في جنات النعيم.

الكلمات المفتاحية: حسب الله، أسباب حسب الله، موانع حسب الله، آثار حسب الله في حياة الفرد والمجتمع.

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين الذي كفى، والصلاة والسلام على الرسول المصطفى، وعلى آله وصحبه، أما بعد.

فإن من لوازم ربوبية الله تعالى لخلقه أجمعين كفايتهم العامة في إيجادهم وإعدادهم وإمدادهم في حياتهم وأمور معاشهم، والله تعالى من أسمائه الحسنى: الحسيب، ومَن أخذ بأسباب الحَسْب المادية والدنيوية- التي شرعها الله تبارك وتعالى- زاد يقينه بربه، ووثق في كفايته، واطمأن لأفعاله تعالى وما يُجريه سبحانه عليه من أقدار، كان حسب الله تعالى له بالحفظ والنصرة والولاية والرعاية والتثبيت هي حسن الجزاء له. ومع تعلق النفوس اليوم بالأسباب المادية والركون إليها في كل شئون الحياة وضعف اليقين والثقة بوعود الله تعالى نجد مظاهر الهزيمة النفسية عند أبناء الأمة، والشعور بالخيبة والضعف، والتسابق إلى أمم الكفر والانبهار بما عندهم من أسباب القوة المادية والعلمية الدنيوية.

واستجابة لواجب الدعوة إلى الله وتذكير المؤمنين بحسب الله لِمَن توكل عليه واتَّقاه، كان هذا البحث الذي يُمثل محاولة لتتبع واستنباط عوامل حسب الله تعالى لعباده المؤمنين وكفايته إيَّاهم باعتماد المنهج الوصفي، وذلك في ضوء الآيات الكريمة التي ورد فيها لفظ (الحَسْب)، ويتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث تَمَّ فيها استقراء الآيات موضوع البحث، ثم استنباط أسباب الحسب وموانعه، وإبرازها بشيء من التفصيل، ثم ذكر بعض من آثاره على الفرد والمجتمع، ثم الخاتمة، وقائمة المراجع والفهارس، وهذا البحث مأخوذ من بحث تقدمت به الطالبة للحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن بعنوان: "حسبي الله في ضوء القرآن الكريم- دراسة موضوعية".

إشكالية البحث:

دراسة فعل الله تعالى الحسب في القرآن الكريم لمعرفة أسباب حسب الله تعالى لنبيه ﷺ ولعباده المؤمنين، والدعوة إلى الأخذ بهذه الأسباب في واقعنا المعاصر للفرد المسلم خاصة، وللمجتمع الإسلامي عامة؛ ليجد المؤمنون أثر هذا الفعل العظيم في قوتهم وتمكينهم

في الأرض، وترسيخ جانب العبودية في قلوبهم.

أسئلة البحث:

س١: ما أسباب حسب الله تعالى للرسول ﷺ خاصَّة وللمؤمنين عامة؟

س٢: كيف كان الله تعالى حسب رسوله ﷺ والعباد المؤمنين؟

س٣: ما أهم موانع حسب الله تعالى لعباده؟

س٤: ما أثر حسب الله تعالى لعباده على الفرد والمجتمع؟

أهداف البحث:

١. بيان أسباب حسب الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ خاصة، والمؤمنين عامة.

٢. معرفة كيف يكون حسب الله تعالى لرسوله لكريم ﷺ ولعباده المؤمنين.

٣. إيضاح موانع حسب الله تعالى الخاص لعباده.

٤. توضيح أثر حسب الله تعالى لعباده على الفرد والمجتمع.

أهمية البحث:

١. عدم وجود دراسات متخصصة في علم التفسير تناولت موضوع حسب الله في القرآن الكريم، بحسب نتائج البحث التي توصل لها الباحث.

٢. معرفة أسباب حسب الله تعالى لأوليائه من رسله، وعباده الصالحين.

٣. بيان كيف يكون الله حسب المؤمنين، وتوضيح عوائق حسب الله تعالى لعباده ومفسداته.

٤. انتشار الماديات وغلبة الحضارات الغربية والشرقية أضعفت في نفوس المسلمين عبادات قلبية عظيمة؛ كالثقة في وعود الله تعالى، وَحُسْنِ الظنِّ بأفعاله تعالى وأقداره، والاستغناءِ بالله تعالى والاستكفاء به، فكانت الحاجة لتقويتها وتمكينها في قلوب العباد لتحقيق أثرها في حياة الفرد والمجتمع المسلم.

مصطلحات البحث: الحَسْب- القرآن.

حَسْبُ: اسم فعل، بمعنى: كفى، جاء في "لسان العرب": "وحَسْبُ مجزوم: بمعنى كَفَى، قال سيبويه: وأَمَّا حَسْبُ فمعناها: الاكْتِفاءُ، وحَسْبُكَ دِرْهم، أَي: كَفاكَ، وهو اسم، وتقول: حَسْبُكَ ذلك، أَي: كفاكَ ذلك، ويقال: أَحْسَبَني ما أَعْطاني، أَي: كفاني"(١).

وفي اصطلاح المفسرين: نجد أن مجموع ما دلت عليه معاني الحسب عندهم: الثقة بالله، والتوكل عليه، والاستعانة به في كفاية العبد والقيام بمصالحه ومهامه في جميع أحواله.

القرآن: اختلف علماء اللغة في اشتقاق لفظ "القرآن" على قولين:

القول الأول: أنه عَلَم جامد غير مشتق، وهو قول الشافعي وجماعة من العلماء.

والقول الثاني: أنه مشتق، واختلف في أصل اشتقاقه على ثلاثة أقوال:

أنه مشتق من القراءة التي هي بمعنى التلاوة، وقيل: إنه مشتقٌّ من الجمْعِ؛ لأنه يجمع السور فيضمها. وقيل: إنه مشتق من الإظهار والبيان؛ لما فيه من إظهار الحروف، وبيان ما في الكتاب.

وأرجح الأقوال: إنه مشتق من القراءة، وأنه سُمِّي قرآنًا؛ لأنَّه كتابٌ اتُّخذَ للقراءة الكثيرة التي لا يبلغها كتاب غيره، ويدلُّ على ذلك بناء الاسم على صيغة "فُعْلان" التي تدلُّ على بلوغ الغاية(٢).

في الاصطلاح: هو كلام الله المنزل على نبيه مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف، مِن أول سورة «الفاتحة» إلى آخر سورة «الناس»(٣).

منهج البحث:

١. المنهج الوصفي الاستنباطي الذي يقوم على تتبع ظاهرة معينة؛ وقد قمت بتتبع

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (كفى)، (١/ ٣١١).

(٢) الداخل، بيان فضل القرآن، (٢٤، ٢٥) بتصرف.

(٣) أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن العظيم، (١/ ٢١).

الآيات القرآنية الكريمة موضوع البحث التي ورد فيها لفظ (حَسْب) في مختلف صوره، مضافًا لضمير المتكلم (حَسْبي)، أو ضمير المتكلمين (حَسْبنا)، أو المخاطب (حَسْبك)، أو الغائب (حَسْبه)، وجمعها من سورها.

٢. وَثَّقت الآيات القرآنية الكريمة بعزوها إلى أرقامها وسورها.

٣. استشهدت ببعض الأحاديث النبوية الشريفة التي احتجت إليها لتوضيح المعنى المراد، مع تخريجها من مصادرها الأصيلة من كتب الحديث المعتبرة عند أهل العلم.

٤. قمت بتفسير الآيات القرآنية الكريمة موضوع البحث؛ بذكر أقوال أشهر المفسرين عبر العصور من بداية كتابة التفسير في مؤلفات خاصة مرورًا بالعصور الوسطى حتى العصر الحديث، وحاولت الجمع بينها وتلخيصها في عبارات جامعة، مع نسبة الأقوال لأصحابها، وتوثيق كل ذلك في حاشية الصفحات.

٥. ربطت أغلب مباحث ومطالب البحث بالآيات القرآنية؛ فهي صلب الموضوع ونواته.

الدراسات السابقة:

لم تعثر الباحثة على بحث أو دراسة تحمل هذا العنوان، أو تبحث في هذا الموضوع، المتعلق بمفهوم حسب الله تعالى لأوليائه المؤمنين في القرآن الكريم، وأقرب ما وجدتَه الباحثة من دراسات قريبة من هذا الموضوع ما يلي:

١. التوكل على الله في القرآن الكريم (دراسة في التفسير الموضوعي)، رسالة درجة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قِسْم الكتاب والسنة، للباحثة: معتوقة الحساني.

٢. التوكل في القرآن الكريم؛ (دراسة موضوعية)، بحث تكميلي مُقَدَّمٌ لنيل درجة الماجستير، جامعة الإيمان، كلية الإيمان، قِسم القرآن والقراءات، للباحث: علي بن عمر بن سالم بلعجم.

وقد أفادت الباحثة منهما في منهج البحث؛ فالمنهج المتبع هو منهج التفسير الموضوعي: "المنهج الوصفي"، وذلك باستقراء الآيات الكريمة موضوع البحث، ثم تحليلها وتفسيرها، واستنباط المفاهيم المتعلقة بموضوع البحث، واستخراج الهدايات والآثار الإيمانية العقدية والسلوكية على الفرد والمجتمع، وفي وضع بعض عناوين الفصول والمباحث التي تتوفر لها مادة علمية مناسبة في البحث.

حدود البحث:

الآيات القرآنية الكريمة التي ورد فيها لفظ (حَسْب) في مختلف صوره مضافًا لضمير المتكلم: (حَسْبِي)، أو ضمير المتكلمين: (حَسْبُنا)، أو المخاطب: (حَسْبُكَ)، أو الغائب: (حَسْبُه).

إجراءات وأدوات البحث:

أولًا: جمع الآيات القرآنية الكريمة التي ورد فيها لفظ (حَسْب) في حدود البحث المقررة.

ثانيًا: توثيق الآيات القرآنية الكريمة بعزوها إلى أرقامها وسورها.

ثالثًا: الاستشهاد ببعض الأحاديث النبوية الشريفة لتوضيح المعنى المراد، مع تخريجها من مصادرها الأصيلة من كتب الحديث المعتبرة عند أهل العلم.

رابعًا: تفسير الآيات القرآنية الكريمة موضوع البحث؛ بذكر أقوال أشهر المفسرين، عبر العصور من بداية كتابة التفسير في مؤلفات خاصة مرورًا بالعصور الوسطى حتى العصر الحديث، مع الجمع بينها وتلخيصها في عبارات جامعة، ونسبة الأقوال لأصحابها، وتوثيق كل ذلك في حاشية الصفحات.

خامسًا: ربط أغلب مباحث ومطالب البحث بالآيات القرآنية؛ فهي صلب الموضوع ونَواته.

سادسًا: ختم البحث بخاتمة ذُكِر فيها أهم النتائج، وبعض التوصيات النافعة والمفيدة للفرد والمجتمع.

سابعًا: وضع فهارس للبحث؛ ليسهل الرجوع إليها، وهي فهارس للآيات القرآنية،

والأحاديث والآثار، والمصادر والمراجع.

وقد تم الاستعانة في ذلك كله بالأدوات التالية:

١. الحاسب الآلي، وشبكة المعلومات العنكبوتية.

٢. المكتبة الرقمية لجامعة المدينة العالمية.

٣. المؤلفات المتعلقة بموضوع البحث من الكتب والمؤلفات والدراسات السابقة.

تقسيمات البحث: يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث؛ لكل مبحث مطالب، على النحو التالي:

التمهيد: تعريف الحَسْب، والألفاظ التي بمعنى الحَسْب.

المبحث الأول: اسم الله الحَسيب، ومعناه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الله الحسيب في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: معاني اسم الله تعالى: الحسيب.

المبحث الثاني: حسب الله تعالى لأوليائه في ضوء القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حسب الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ.

المطلب الثاني: حسب الله تعالى لعباده المؤمنين.

المبحث الثالث: حسب الله تعالى للعباد؛ أسبابه، وموانعه، وآثاره، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسباب حسب الله تعالى عبادَه.

المطلب الثاني: موانع حسب الله تعالى عبادَه.

المطلب الثالث: أثر حسب الله تعالى عبادَه على الفرد والمجتمع.

التمهيد: **تعريف الحَسْب لغةً واصطلاحًا، والألفاظ التي بمعناه:**

أولًا: تعريف الحسب:

لغة: حَسْبُ: اسم فعل، بمعنى: كفى، جاء في لسان العرب: "وحَسْبُ مجزوم: بمعنى

كَفَى، وتقول: حَسْبُكَ ذلك، أَي: كفاكَ ذلك"[١]. وفي "مختار الصِّحاح"[٢]: "شيء حِسَابٌ، أي: كاف، ومنه قوله تعالى: ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾[٣]".

وحَسْبُ الله: كفايته، جاء في "المفردات في غريب القرآن"[٤]: "وحَسْبُ يُستعمل في معنى الكفاية؛ ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾[٥] أي: كافينا هو".

وبذلك يتبين من التعريف اللغوي: أنَّ الحسب بمعنى الكفاية، والله أعلم.

اصطلاحًا: من معاني الحسب في اصطلاح المفسرين:

١- تفويض الأمر لله والثقة به:

يقول البغوي رحمه الله: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾[٦] أي: ثقتي به، واعتمادي عليه"[٧].

٢- الكفاية والنُّصرة:

يقول القرطبي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل﴾[٨]، قال: "حسبنا الله، أي: كافينا الله"[٩].

ويقول ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِين﴾[١٠]: "أي: كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم وإن كثرت أعدادهم"[١].

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (كفى)، (١/ ٣١١).

(٢) الرازي، **مختار الصحاح**، مادة (ح س ب)، (١/ ٧٢).

(٣) سورة النبأ، الآية: ٣٦.

(٤) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادة (حسب)، (١/ ٢٣٤).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٧) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن؛ (تفسير البغوي)**، (٤/ ٩٠).

(٨) سورة آل عمران، الآية ١٧٣.

(٩) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن؛ (تفسير القرطبي)**، (٤/ ٢٨٢).

(١٠) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

٣- التوكل على الله والاستعانة به:

قاله القرطبي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(٢): "حسبي الله، أي: عليه توكلتُ، أي: اعتمدتُ، و﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾: يعتمد المعتمدون"(٣).

من خلال أقوال المفسرين السابقة نجد أن مجموع ما دلَّت عليه معاني الحسب: الثقة بالله، والتوكل عليه، والاستعانة به في كفاية العبد والقيام بمصالحه ومهامه في جميع أحواله، والله أعلم.

ثانيًا: ألفاظ متواطئة بمعنى الحسب: من الألفاظ التي جاءت بمعنى الحسب، أو بمعنى قريب منه ما يأتي:

الكفاية: الكفاية هي المعنى الأوَّلي للحسب، وتعني: الاكتفاء والاستغناء بمن يَكفيك أمرك، جاء في "لسان العرب": "ويُقَالُ: اسْتَكْفَيْته أَمْرًا فكَفانيه، وَيُقَالُ: كَفاك هَذَا الأَمرُ، أَي: حَسْبُكَ"(٤).

وفي "المعجم الوسيط"(٥): "كَفاهُ الشَّيْء كِفَايَة: اسْتغنى بِهِ عَن غَيره؛ فَهُوَ كَاف".

الوكالة: وهي الاعتماد على مَن يَكفيك، ويُدبر الأمر بعد إظهار الحاجة والافتقار، جاء في "القاموس المحيط": "وَوَكَلَ باللهِ يَكِلُ، وتَوَكَّلَ على اللهِ، وأَوْكَلَ واتَّكَلَ: اسْتَسْلَمَ إليه،

=

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم؛ (تفسير ابن كثير)**، (٤/ ٨٦).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن؛ (تفسير القرطبي)**، (١٥/ ٢٥٩).

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (كفى)، (١٥/ ٢٢٥).

(٥) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، باب (الكاف)، (٢/ ٧٩٣).

وَوَكَلَ إليه الأمْرَ وَكْلًا ووُكُولًا: سَلَّمَهُ وتَرَكَهُ"(١).

النصرة: جاء في "مختار الصِّحاح": "واسْتَنْصَرَهُ عَلَى عَدُوِّهِ: سَأَلَهُ أَنْ يَنْصُرَهُ عَلَيْهِ، وَتَنَاصَرَ الْقَوْمُ: نَصَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَانْتَصَرَ مِنْهُ: انْتَقَمَ"(٢).

الحفظ: من معاني الحفظ: الحراسة، وتفقد الشيء وتعاهده بالحفظ والرعاية، وهي من مظاهر الكفاية والحَسْب، وفي "مختار الصحاح": "حَفِظَ الشَّيْءَ بِالْكَسْرِ حِفْظًا: حَرَسَهُ، وَحَفِظَهُ أَيْضًا: اسْتَظْهَرَهُ"(٣).

(١) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، باب (ل) فصل (ك)، (١/ ١٠٦٩).

(٢) الرازي، زين الدين، **مختار الصحاح**، مادة (ن ص ر) (ص ٣١١).

(٣) **السابق**، مادة (ح ف ظ) (ص ٧٦).

المبحث الأول

المطلب الأول: اسم الله الحسيب، ومعناه:

اسم الله الحسيب في القرآن الكريم.

ورد اسمُ الله تعالى الحسيب في القرآن الكريم في مواضع عِدَّة، كما يلي:

أولًا: ورد مُطْلَقًا مَرَّةً واحدةً، فهو ﷻ حسيب لخلقه باسمه وصفته، له الكمال المطلق في كفايتهم وحِفظهم وتدبير أمورهم؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾[1].

ثانيًا: ورد مُقَيَّدًا في موضعين:

الأول: قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[2].

الثاني: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[3].

ثالثًا: ورد اسمَ فاعلٍ بصيغة الجمع "الحاسبين":

وفي الحاسب بيان لصفته الفعلية ﷻ؛ فهو الكافي عِبَادَهُ، قد حَفِظ أعمالهم كلهم، وسيحاسبهم عليها، ويجازيهم بها دقيقها وجليلها، وقد وردت هذه الصيغة في موضعين:

(١) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

الأول: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾[١].

والثاني: قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[٢].

المطلب الثاني: معاني اسم الله تعالى: الحَسِيب[٣]:

أولًا: الكافي:

فعيل في معنى مُفْعِل، فحسيب بمعنى مُحْسِب، أي: كاف، قال الزجاج: "فَالله تَعَالَى مُحْسِبٌ، أَي: كَاف، فَيكون فعيلًا فِي معنى مفعل كأليم وَنَحْوه"[٤].

ويقول القرطبي رحمه الله: "يكون فعيل بمعنى مُفْعِل، كأليم بمعنى مؤلِم، ونذير بمعنى مُنذِر... ومعناه: الكفاية وسَد جميع الخلة... ومنه قوله تعالى: ﴿ عَطَآءً حِسَابًا ﴾[٥]، أي: كافيًا"[٦].

والله تعالى الحسيب، أي: الكافي، وهي صفة ذاتية له تبارك وتعالى، فكفاية الخلق كل ما أهمهم- في جميع أمورهم الدينية والدنيوية والأخروية- بيده تبارك في علاه.

قال ابن القيم رحمه الله في "نُونيته"[٧]:

وهو الحَسيب كفاية وحماية والله كافي العبد كلَّ أوان

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٣) ينظر: مُحَّد النجدي، **النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى**، (١/ ٣٦٢-٣٦٧)، والسعدي، **تفسير أسماء الله الحسنى**، (ص ١٨٢).

(٤) الزجاج، **تفسير أسماء الله الحسنى**، (١/ ٤٩).

(٥) سورة النبأ، الآية: ٣٦.

(٦) القرطبي، **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، (ص ٤٢٢، ٤٢٣).

(٧) ابن القيم، مُحَّد بن أبي بكر، **الكافية الشافية؛ (نونية ابن القيم)**، (ص ٢١٠).

"والكافي: الذي كفاية الخلق كلَّ ما أَهَمَّهُمْ بيده سبحانه، وكفايته لهم عامَّة وخاصة؛ أما العامَّة فقد كفى- تعالى- جميعَ المخلوقات، وقام بإيجادها وإمدادها وإعدادها لكل ما خُلقت له، وهيَّأ للعباد من جميع الأسباب ما يُغْنِيهِمْ ويُقْنيهم ويُطعمهم وَيَسْقِيهِمْ.

وفي الحديث القدسي: "**يا عبادي، كُلُّكم جائع إلا من أطعمته؛ فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي، كلكم عار إلا مَن كسوته، فاستكسوني أَكْسُكم**"(١).

وأما كفايته الخاصة فكفايته للمتوكلين، وقيامه بإصلاح أحوال عباده المتقين ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾(٢)، أي: كافيه كلَّ أموره الدينية والدنيوية، وإذا توكل العبد على ربِّه حقَّ التوكل بأن اعتمد بقلبه على ربه اعتمادًا قويًّا كاملًا في تحصيل مصالحه ودفع مضاره، وَقَوِيَتْ ثِقَتُهُ، وَحَسُنَ ظَنُّهُ بربه حصلت له الكفاية التامة، وَأَتَمَّ الله له أحواله، وَسَدَّدَهُ في أقواله وأفعاله، وكفاه هَمَّهُ، وكشف غمَّهُ"(٣).

ثانيًا: المحاسِب، فعيل بمعنى مُفاعِل، فحسيب بمعنى مُحاسِب؛ قال الخطابي رحمه الله: "والحسيب- أيضًا- بمعنى: المحاسب، ومنه قول الله سبحانه: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾(٤)، أيْ: محاسبًا، والله أعلم"(٥).

والحسيب: الذي أَحصى أعمال العباد لا يَضيع منها شيء، ولا يُنْقَصُ منها ولا يُزَادُ عليها؛ فيُجزون بها يوم تُوضع الموازين القسط؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، ومنه قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في **صحيحه**، كتاب (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم الظلم)، (٤/ ١٩٩٤)، رقم ٥٥ (٢٥٧٧).
(٢) سورة الطلاق، جزء من الآية: ٣.
(٣) البدر، **فقه الأسماء الحسنى**، (ص ٢٣٤).
(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٤.
(٥) الخطَّابي، **شأن الدعاء**، (ص ٧٠).

حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[١].

ثالثًا: الحفيظ: فُسِّر الحسيب بالحفيظ الذي يحفظ الأعمال ثم يجازيهم عليها؛ فالله ﷻ حسيب عباده، يحفظ أعمالهم فيحاسبهم عليها، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[٢]، قال الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[٣]: "يقول تعالى ذِكْرُهُ: وكفاك يا مُحَّد بالله حافظًا لأعمال خلقه، ومحاسبًا لهم عليها"[٤].

رابعًا: العليم: الحسيب: هو العليم بعباده، كافي المتوكلين[٥]، والحسيب معناه: المدرك المدرك للأجزاء والمقادير التي يَعلم العباد أمثالها بالحساب من غير أن يحسب؛ لأن الحاسب يدرك الأجزاء شيئًا فشيئًا، ويعلم الجملة عند انتهاء حسابه، والله تعالى لا يتوقف علمه بشيء على أمرٍ يكونُ، وحالٍ يحدثُ[٦].

قال القرطبي رحمه الله في شرح اسم الله الحسيب: "وقال قوم: الحسيب: العالم"[٧].

يتلخص عندنا مما سبق أن معنى الحسيب أي: الكافي الذي كفى عباده جميع ما أهمَّهم من أمور دينهم ودنياهم، الْمُيَسِّرُ لهم كل ما يحتاجونه، الدافع عنهم كل ما يكرهونه.

ومن معاني الحسيب: أنه الحفيظ على عباده كُلَّ ما عملوه، أحصاه الله ونسوه، وعَلِم تعالى ذلك، وميَّز الله صالح العمل مِن فاسده، وَحَسَنَهُ من قبيحه، وعلم ما يستحقون من الجزاء، ومقدار ما لهم من الثواب والعقاب[٨].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

(٤) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)**، (١٩/ ١٢١).

(٥) السعدي، **تفسير أسماء الله الحسنى**، (ص ١٨١).

(٦) الحليمي، **المنهاج في شعب الإيمان**، (١/ ٢٠٠).

(٧) القرطبي، **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، (ص ٤٣٤).

(٨) البدر، **فقه الأسماء الحسنى**، (ص ٢٣٤).

المبحث الثاني

المطلب الأول: حسب الله تعالى لأوليائه في ضوء القرآن الكريم:

حسب الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ، ومن ذلك:

حسبه ﷺ عند الإعراض وعدم الإيمان به:

يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾(١).

خطاب الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة-وإن جاء خاصًّا إلى الْمُعْرِضِينَ عن الحقِ من المشركين والمنافقين- عامٌّ إلى جميع الأمة إلى يوم القيامة، وفيه تذكير من الله تعالى بِمِنَّتِهِ وفضله ورحمته بهذه الأمة بأن أرسل فيهم هذا الرسول الكريم الذي جمع صفات الكمال البشري من الرحمة بالخلق والحرص على هدايتهم والرأفة بهم؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٢)، والخوف عليهم من عاقبة إعراضهم، قال تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾(٣)، وَالْمُؤَمَّلُ مِنْ كُلِّ مَن له فهم سليم وعقل رشيد بعد ذِكْرِ هذه الأوصافِ العليةِ لرسول البشرية ﷺ تصديقُهُ واتباعه والإذعان لما جاء به من الحق، لكن العناد والاستكبار وحب الظهور واتباع الهوى والشيطان جعل بعضَ الظالمين يُعرضون عن هذا النور المبين.

قال ابن عاشور: "والفاء في قوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ للتفريع على إرسال النبي ﷺ

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١٢٨، ١٢٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٣.

صاحب هذه الصفات إليهم؛ فإن صفاته المذكورة تقتضي من كل ذي عقل سليم من العرب الإيمانَ به واتباعه؛ لأنه من أنفسهم، ومحبٌّ لخيرهم، رءوف رحيم بمن يتبعه منهم، فتفرع عليه أنهم محقوقون بالإيمان به، فإن آمنوا فذاك، وإن لم يؤمنوا فإن الله حسيبه وكافيه"(١).

ومن حسب الله تعالى لنَبِيّه ﷺ عند إعراض الكفارِ: كفايته من شَرِّ كيدهم ومكرهم وأذاهم؛ فإن إعراضهم بعد هذا البيان مِن الله تعالى، وبعد يقينهم بصدق الرسول وكمال خلقه إنما هو بسبب حسدهم، قال ابن عاشور: "والحَسْب: الكافي، أي: كافيك شر إعراضهم؛ لأنهم إن أعرضوا بعد هذا فَقَدْ أعرضوا عن حسد وحَنَق، وتلك حالة مَظِنَّة السعي في الكيد والأذى"(٢).

ومن حسب الله تعالى لنبيه عند إعراض المعرضين عنه: استغناء قلبه بربِّه وثقته به، وتقويته وتثبيته حتى لو كذبه الناس جميعًا؛ فلا حاجة له بهم؛ فربُّه الذي ثَبَّتَهُ وَقَوَّاهُ في تلقي الوحي وحمله، أهون عليه تثبيت نبيه ﷺ وتقويته في مقابلة المعرضين من البشر؛ قال الألوسي رحمه الله: " ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾: لا حاجة لي بكم، كما لا حاجة للإنسان إلى العضو المتعفن الذي يجب قطعه عقلًا، فالله تعالى كافي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فلا مؤثر غيره، ولا ناصر سواه، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، لا على غيره من جميع المخلوقات"(٣).

ومِن حسب الله تعالى لنبيه حال إعراض الناس عن قبول دعوته خاصة بعد ظهور الدعوة في العهد المدني: حفظُ قلبه مِن أن يتسلل إليه الحزن والأسف؛ فعلى الله تعالى المعونة والنصرة.

يقول الرازي رحمه الله في تفسير هذه الآية: "وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: بَيَانُ أَنَّ الْكُفَّارَ لَوْ أَعْرَضُوا وَلَمْ يَقْبَلُوا هَذِهِ التَّكَالِيفَ لَمْ يَدْخُلْ فِي قَلْبِ الرَّسُولِ حَزَنٌ وَلَا أَسَفٌ؛

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١١/ ٧٣).
(٢) نفسه، (١١/ ٧٤).
(٣) الألوسي، **روح المعاني**، (٦/ ٥٤).

لِأَنَّ اللَّهَ حَسْبُهُ وَكَافِيهِ فِي نَصْرِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ... النُّصْرَةُ عَلَيْهِ، وَالْمَعُونَةُ مُرْتَقَبَةٌ مِنْهُ"(١).

مما سبق يظهر- والله أعلم- أن حسب الله تعالى لنبيه ﷺ عند إعراض الناس عنه، وعدم الإيمان به معناه:

١. كفايته تعالى نَبِيَّهُ ﷺ هَمَّهُ، ومعرة أعدائه، وإعانته عليهم بنصره وظهور دينه.

٢. كفايته تعالى نبيه ﷺ شَرَّ كيد أعدائه ومكرهم وأذاهم؛ بسبب حسدهم وحنقهم عليه.

٣. استغناء قلبه ﷺ بربه العظيم، وتقويته وتثبيته؛ فلا حاجة له بالناس؛ لأنه لا ناصر إلا الله، ولا مؤثر غيره.

٤. حفظ قلبه ﷺ من أن يتسلل إليه الحزن والأسف على عدم إيمانهم؛ لكمال يقينه بمعونته الله ونصره.

حسب الله لرسوله ﷺ عند إرادة المشركين خداعه:

قال تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(٢). وقد ذكر بعض المفسرين أن المراد بالمخادعين في هذه الآية: بنو قريظة، وأن المراد بالمؤمنين: الأنصار ﷺ(٣)، لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ فالآية عامة في كل مخادع، وقوله: (بالمؤمنين) يشمل المهاجرين والأنصار ومَن اتبعهم بإحسان، وكفاية الله متحققة لكل مَنْ أوفى بعهده، والتزم بشروط الأمان.

وحسب الله تعالى نبيه ﷺ في هذا الموضع: تأمينه من خداع أعدائه إن بَيَّتُوا الغدرَ، وعزموا على الخيانة وهم يظهرون الصلح؛ فإن الله تعالى مُطَّلع على السرائر، عليم بما تُكِنُّهُ الضمائر؛ فَأَمَرَهُ بأن يأخذ الأعداء على ظاهر حالهم، وَتَكَفَّلَ- سبحانه- بكفايته شَرَّ خيانة

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٦/ ١٧٩).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٢.

(٣) الطبري، **جامع البيان**، (١١/ ٢٥٥)، والسيوطي، **الدر المنثور**، (٤/ ٩٩).

الخائنِين.

يقول الألوسي رحمه الله : "لا تخف أن يظهروا لك السِّلم وجوانحهم مَطوية على المكر والكيد، إِنَّهُ جل شأنه هُوَ السَّمِيعُ؛ فيَسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع، العَلِيمُ؛ فيَعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه"(١).

ومِن معاني حسب الله تعالى نبيَّه ﷺ من المخادعين: تكفله بالمعونة السماوية من غير واسطة، وبالمعونة الأرضية بواسطة أسباب معلومة معتادة، فالأول هو نصر الله تعالى، والثاني معونة المؤمنين؛ قال السعدي رحمه الله: "أعانك بمعونة سماوية، وهو النصر منه الذي لا يُقاومه شيء، ومعونة بالمؤمنين بأن قَيَّضَهُمْ لنصرك"(٢). وفي "التفسير الوسيط": "فإن الله كافيك بنصره ومعونته؛ فهو- سبحانه- الذي أَمَدَّكَ بما أمدك به من وسائل النصر الظاهرة والخافية، وهو- سبحانه- الذي أَيَّدَكَ بالمؤمنين الذين هانت عليهم أنفسُهم وأموالهم في سبيل إعزاز هذا الدِّين وإعلاء كلمته"(٣).

ومن حسب الله تعالى لنبيه ﷺ في وجه المخادعين: جمعُ قلوب أصحابه على الإيمان به وطاعته، والحب في الله والبغض فيه، ونبذ العصبية والجاهلية التي كانوا عليها.

وقد اختلف المفسرون في المراد بالمؤلفة قلوبهم هنا، وحمل الكلام على العموم أَوْلَى- كما قال الشوكاني رحمه الله تعالى-: "وقال جمهور المفسرين: المراد: الأوس والخزرج؛ فقد كان بينهم عصبيةٌ شديدةٌ وحروبٌ عظيمةٌ؛ فألَّف اللهُ بين قلوبهم بالإيمان برسول الله ﷺ، وقيل: أراد التأليف بين المهاجرين والأنصار، والحمل على العموم أولى"(٤).

ومِن حسبه تعالى لنبيه ﷺ: كفايتُهُ أتباعَ نَبِيِّهِ ﷺ من المؤمنين الصادقين، فوعد الله تعالى نبيَّه ﷺ وأتباعه بالكفاية المطلقة عند مخادعة الأعداء، وفي كل الحالات والاحتمالات؛

(١) الألوسي، **روح المعاني**، (٥/ ٢٢٣).

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (ص ٣٢٥).

(٣) طنطاوي، **التفسير الوسيط**، (٦/ ١٤٧).

(٤) الشوكاني، **فتح القدير**، (٢/ ٣٦٨).

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(١)، وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾ قولان: أحدهما: حسبُك اللهُ، وحسبُ مَن اتَّبعَكَ، قول ابن عباس، وبه قال ابن زيد ومقاتل والأكثرون.

والثاني: حَسْبُك اللهُ ومُتَّبِعُوكَ، قول مجاهد، والشَّعبي، وأجاز الفرَّاءُ والزَّجَّاجُ الوجهين(٢)، والمعنى: يا أيها النبي، كافيك الله وكافي مُتَّبعيك من المؤمنين، فهو سبحانه ناصركم ومؤيدكم على أعدائكم وإن كَثُرَ عددهم، وَقَلَّ عددكم، وما دام الأمر كذلك فاعتمدوا عليه وحده، وأطيعوه في السِّرِّ والعَلن؛ لكي يديم عليكم عونه وتأييده ونصره(٣).

وبعد جمع أقوال المفسرين في معاني حسب الله تعالى لنبيه ﷺ في وجه المخادعين تَتَبَيَّنُ بعض المعاني، ومنها:

١. أنَّ حسب الله يكون بتأمينه من شِرِّ خداع أعدائه وإن بَيَّتوا له الغدر والخيانة، وأظهروا له الصلح والمهادنة.
٢. ويكون بتكفل الله تعالى بمعونة نبيه ﷺ من السماء بلا واسطة، ومن الأرض بأسباب معلومة معتادة.
٣. ويكون بجمع قلوب أصحابه على طاعته وحُسن اتباعه والحب في الله والبغض فيه بعد أن كانت قلوبهم متخاصمة متنافرة، أُشرِبت عصبية جاهلية مَقيتة.
٤. ويكون بكفاية أتباعه من المؤمنين بالنصرة على الأعداء وإن قَلَّ عددهم، وَكَثُرَ عدد أعدائهم.
٥. ويكون بالكفاية المطلقة له ولأتباعه خاصة وعامة؛ فالكفاية الخاصة من شَرِّ الأعداء,

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.
(٢) ابن الجوزي، **زاد المسير**، (٢/ ٢٢٢).
(٣) طنطاوي، **التفسير الوسيط**، (٦/ ١٥٠).

والعامة في كل حال.

حسب الله لرسوله ﷺ في جلب المنافع ودفع المضار:

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(١)، قال القرطبي: "﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم ﴾ أي: قل لهم يا محمد بعد اعترافهم بهذا: أفرأيتم ﴿ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾: بشدة وبلاء، ﴿ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ﴾ يعني: هذه الأصنام، ﴿ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ ﴾ ورخاء؛ ﴿ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾؟ وَتُرِكَ الجواب؛ لدلالة الكلام عليه، يعني: فسيقولون: لا. أي: لا تكشف ولا تُمسك. ف{قل} أنت: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ أي: عليه توكلت، أي: اعتمدت، و﴿ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾: يعتمد المعتمدون"(٢).

وحسب الله تعالى لنَبِيّه ﷺ: استغناؤه به عن الخلق أجمعين، واستحقاقه سبحانه وتعالى وحده عبادَتَهُ، فهو سبحانه كافيه مما سواه من الأشياء كلها؛ قال ابن جرير رحمه الله: "حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها، إيَّاه أعبدُ، وإليه أفزع في أموري دون كلِّ شيء سواه؛ فإنه الكافي، وبيده الضر والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع"(٣).

ومن حسبه سبحانه وتعالى: تثبيتُ رسوله ﷺ عند تخويف المشركين له معرَّة الأوثان وتخبيلها، وإعلان التحدي بتهكمه بآلهتهم، وإظهار عجزها، وأنهم يتوهمون فيها القدرة على الفعل، جاء في "الوسيط" في تفسير هذه الآية: "﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ أي: قل أيها الرسول الكريم في الرد عليهم وفي السخرية من آلهتهم: الله- تعالى- الخالق لكل شيء كافيني في جميع أموري،

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٥/ ٢٥٨، ٢٥٩).

(٣) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (٢٠/ ٢١٢).

وعاصمني من كيدكم وكيد مَنْ تَتَوَهَّمُونَ كيده، وعليه وحده لا على غيره يتوكل المتوكلون؛ لعلمهم أنَّ كل ما سواه تحت ملكوته وقدرته"(١).

المطلب الثاني: حسب الله تعالى لعباده المؤمنين:

أولًا: حسبه إياهم حال التخويف واجتماع الناس عليهم:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(٢). وقد اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآيات، وكان لهم عدة أقوال، أشهرها قولان:

الأول: أنها نزلت في رسول الله ﷺ وصحابته في غزوة حمراء الأسد.

روى الواحدي رحمه الله عن قتادة أنه قال: "ذاك يوم أُحُدٍ بعد القتل والجراحة، وبعدما انصرف المشركون؛ أبو سفيان وأصحابه- قال نبي الله ﷺ لأصحابه: "**أَلَا عصابةٌ تشدد لأمر الله؛ فتطلب عدوها؛ فإنَّه أنكى للعدو، وأبعد للسمع**"، فانطلق عصابةٌ على ما يعلم الله من الجهد، حتى إذا كانوا بذي الحُليفة جعل الأعراب والناس يأتون عليهم يقولون: هذا أبو سفيان مائلٌ بالناس! فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾(٣)(٤).

الثاني: أنها نزلت في غزوة بدر الصغرى، وذلك في مسير النبي ﷺ عامَ قابلٍ من وقعة أُحُدٍ للقاء عدوِّهِ أبي سفيان وأصحابه، للموعد الذي كان وَاعَدَهُ الالتقاءَ بها، فعن عكرمة قال: "كانت بدر متجرًا في الجاهلية، فلما كان يوم أُحُد قال أبو سفيان للنبي ﷺ:

(١) طنطاوي، **التفسير الوسيط**، (١٢/ ٢٢٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٣) سورة آل عمران، جزء من الآية: ١٧٤.

(٤) الواحدي، **أسباب النزول**، (١/ ١٣٢).

موعدك عام قابل بدر، فقال: "**هُو مَوعد لك**"، فلما خرج النبي ﷺ لموعدهم لَقِيهم رجل، فقال: إن بها جموعًا من المشركين، فأمَّا الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبة التجارة وأهبة القتال، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، ثم خرجوا حتى جاءوها فتسوقوا بها، ولم يَجدوا عندها أَحَدًا؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ ﴾ الآية"(١).

قال البغوي رحمه الله: "وأراد بالناس: نعيم بن مسعود في قول مجاهد وعكرمة، فهو من العامِّ الذي أُريد به الخاص، كقوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾(٢) يعني: محمدًا ﷺ وحده، وقال مُحَّد بن إسحاق وجماعة: أراد بالناس: الركب من عبد القيس،﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ ﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه، ﴿ فَٱخۡشَوۡهُمۡ ﴾: فخافوهم واحذروهم؛ فإنه لا طاقة لكم بهم، ﴿ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا ﴾: تصديقًا ويقينًا وقوة، ﴿ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ ﴾ أي: كافينا الله، ﴿ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ أي: الموكول إليه الأمور، فعيل: بمعنى مفعول"(٣).

وقد تَحَقَّقَ حسب الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين المخلصين؛ فقذف في قلوب أعدائهم الخوف والرعب على الرغم من انتصارهم، وأنزل القوة والشجاعة والحمية في قلوب أوليائه سبحانه، كما تحققت بثبات يقينهم به حال التخذيل والتخويف، فلم يَلتفتوا لقول الْمُخَذِّلِينَ، ولم يَضعفوا، بل ثبت به يقينهم بالله، وازداد إيمانهم، وأظهروا حمية الإسلام، وأخلصوا النية لله، واكتفوا بالله ناصرًا وإن كانوا في قِلَّةٍ وَضَعْفٍ(٤).

يقول ابن جرير رحمه الله: "فزادهم ذلك مِنْ تخويف مَنْ خَوَّفَهُمْ أمرَ أبي سفيان

(١) ابن حَجَر العسقلاني، **العجاب في بيان الأسباب**، (٢/ ٧٩٤).

(٢) سورة النساء، جزء من الآية: ٥٤.

(٣) البغوي، **معالم التنزيل**، (١/ ٥٤٢).

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٤/ ١٧٠).

وأصحابه من المشركين يقينًا إلى يقينهم، وتصديقًا لله ولوعده ووعد رسوله إلى تصديقهم، ولم يُثْنِهِمْ ذلك عن وجههم الذي أمرهم رسولُ الله ﷺ بالسير فيه، ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه، وقالوا ثِقَةً بالله وَتَوَكُّلًا عليه إذ خَوَّفَهُمْ مَنْ خوفَّهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾، يعني بقوله: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾: كفانا الله، يعني: يكفينا الله"[١].

وقد وجد الصحابة كفاية الله الخاصة بهم في هذا الموقف الشديد؛ فرجعوا بنصر وفضل وأجر.

وقد ذكر القرطبي رحمه الله حسب الله الخاص للمؤمنين الذين عملوا بأسبابها فقال: "قال علماؤنا: لما فَوَّضُوا أمورهم إليه، واعتمدوا بقلوبهم عليه أعطاهم من الجزاء أربعةَ معانٍ: النعمة، والفضل، وصرف السوء، واتباع الرضا؛ فَرَضَّاهُمْ عنه، ورضي عنهم"[٢].

ثانيًا: حسبه إياهم حال الرضا بحكم الله ورسوله وعطائه:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾[٣]، يُبَيِّنُ الله- تعالى- في هذه الآية الكريمة المنهجَ اللائقَ بأصحاب العقيدة السليمة في طلب الدنيا، وذلك من خلال بيان حال المنافقين الذين أخبر الله- تعالى- عن حالهم السيئ الدنيء الذي لا يُجْدِيهِمْ في الدنيا، ويُهلكهم في الأخرى، وهو الطعن في عطاء رسول الله وقِسمته للصدقات، وقيل: الغنائم.

مناسبة الآية: قال البقاعي رحمه الله: "ولما أخبر تعالى عن حالهم السيئ الدنيء الذي لا يجديهم في الدنيا، ويهلكهم في الأخرى نَبَّهَهُمْ على ما هو الأصلح لهم من الحال الشريف السَّنِي فقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ﴾ أي: المنافقين، ﴿ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: المنعم

(١) ابن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (٦/ ٢٤٥).
(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٤/ ٢٨٢).
(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٩.

بجميع النعم؛ لأن له جميع الكمال، ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ الذي عظمته مِنْ عظمته قَلَّ ذلك المؤتى أو كثر؛ طال زمنه أو قصر، ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: مع الرضا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ أي: كافينا؛ لأن له جميع العظمة؛ فهو الغني المطلق"(١). وقوله: ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: ما عَيَّنَهُ لهم، أي: لِجماعتهم من الصدقات، بنوطها بأوصاف تَحَقَّقَتْ فيهم كقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾(٢). وإيتاء الرسول ﷺ: إعطاؤه المالَ مَنْ يرى أن يعطيه مِمَّا جعل الله له التصرُّفَ فيه؛ مثل النَّفل في المغانم، والسَّلَب، والجوائز، والصِّلات، ونحو ذلك، ومنه إعطاؤه مَنْ جعل الله لهم الحقَّ في الصدقات، ويجوز أن يكون إيتاءُ الله عينَ إيتاء الرسول ﷺ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ إيتاءَ الله للإشارة إلى أنَّ ما عَيَّنَهُ لهم الرسول ﷺ هو ما عَيَّنَهُ الله لهم، كما في قوله: ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ أي: ما أوحى الله به إلى رسوله ﷺ أن يعطيهم، وقوله: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾(٣)، وهذا ما ذكره ابن عاشور في "تفسيره"(٤).

وفي بيان سوء حال المنافقين في هذه الآية: دلالةٌ على سلامة منهج المؤمنين الصادقين المتوكلين وصحته، إذ لو رضي المنافقون بما قسم الله ورسوله لكانوا من المؤمنين الصادقين، ولكان هذا خيرًا لهم في الدَّارين، يقول أبو حيان في تفسير الآية: "هذا وصف لحال المستقيمين في دينهم، أي: رضوا قِسمة الله ورسوله، وقالوا: كفانا فضل الله، وَعَلَّقُوا آمالهم بما سيؤتيه الله إيَّاهم، وكانت رغبتهم إلى الله لا إلى غيره، وجواب لو محذوف تقديره: لكان خيرًا لهم في دينهم ودنياهم، وكان ذلك الفعل دليلًا على انتقالهم من النفاق إلى محض

(١) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (٨/ ٥٠٨).

(٢) سورة التوبة، جزء من الآية: ٦٠.

(٣) سورة الأنفال، جزء من الآية: ١.

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٠/ ٢٣٣).

الإيمان؛ لأنَّ ذلك تَضَمَّنَ الرضا بقسم الله، والإقرار بالله وبالرسول؛ إذ كانوا يقولون: ﴿ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾"[1]، ومن آثار قول المؤمنين الصادقين: "حسبنا الله" في العاجلة والآجلة ثِقتهم في عطاء الكريم ورضاهم به سبحانه، والتجاؤهم إليه لا إلى غيره ورغبتهم إليه؛ قال الرازي: "ألا ترى أنَّه قال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾؛ فذكر فِيهِ مراتب أربعة:

المرتبة الأولى: الرِّضا بما آتاهم الله ورسوله؛ لعلمه بأنه تعالى حكيمٌ منزهٌ عن العبث والخطأ، وحكيمٌ بمعنى أنه: عليمٌ بعواقب الأمور، وكلما كان حكمًا له وقضاءً كان حقًّا وصوابًا، ولا اعتراض عليه.

والمرتبة الثانية: أن يظهر آثارُ ذلك الرِّضا على لسانهم، وهو قوله: ﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ ، يعني: أن غيرنا أخذوا المال، ونحن لما رضينا بحكم الله وقضائه فقد فُزنا بهذه المرتبة العظيمة في العبودية.

المرتبة الثالثة: وهي أن الإنسان إذا لم يبلغ إلى تلك الدرجة العالية التي عندها يقول: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ نزل منها إلى مرتبةٍ أخرى، وهي أن يقول: ﴿ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ ؛ إما في الدنيا إن اقتضاه التقدير، وإمَّا في الآخرة، وهي أولى وأفضل.

والمرتبة الرابعة: أن يقول: ﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾، فنحن لا نطلب من الإيمان والطاعة أخذ الأموال والفوز بالمناصب في الدنيا، وإنما المراد إمَّا اكتساب سعادات الآخرة،

(١) أبو حيان، **البحر المحيط**، (٥/ ٤٣٩).

وإما الاستغراق في العبودية على ما دل لفظُ الآية عليه؛ فإنه قال: ﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ ولم يقل: إنا إلى ثواب الله راغبون"(١).

إن حسب الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين أصحابِ المنهج السليم في طلب الدنيا الذين رضوا بحكم الله ورسوله، ورضوا بعطاء الله ورسوله- تكون بعدة أمور:

أولًا: بأن يكفيهم الله تعالى مَا أَهَمَّهُمْ؛ لأنَّ كفاية الهمِّ تقتضي تَعَهُّدَ المكفي بالعوائد، ودفع الحاجة، والإيتاء الذي معناه إعطاء الذوات.

ثانيًا: بأن يُغْنِيَهُمْ بما أعطاهم، وَيَقَنِّعَهُمْ به، ولسان حالهم ومقالهم: إنَّا إلى الله نَرغب في أن يُوسع علينا من فضله، فيُغنينا عن الصدقة وغيرها من صلات الناس والحاجة إليهم".

ثالثًا: بالرضا بقسمة الله، والأمل بمزيد فضله وإحسانه، متضرعون في جلب منافعنا، ودفع مضارنا لله تعالى قد سَلِمُوا من النفاق، وَهُدُوا إلى الإيمان والأحوال العالية.

رابعًا: الوثوق بوعد الله الآجل، والاكتفاء بما يأتي من قِبَلِهِ كائنًا ما كان، وفي هذا يقول البقاعي: "ولما كانت الكفاية تارة تكون بالتنجيز العاجل، وتارة بالوثوق بالوعد الآجل بَيَّنَ أن الثاني هو المراد؛ لأنه أدل على الإيمان فقال: ﴿ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ ﴾ أي: الملك الأعظم بوعد لا خُلْفَ فيه، واعتقدوا أن لا حقَّ لأحد فقالوا: ﴿ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ أي: الذي لا يخالف أمره على ما قدر لنا في الأزل"(٢).

ثالثًا: حسبه عبادَه حال توكلهم عليه:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٦/ ٦٦).

(٢) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (٨/ ٥٠٤).

حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾(١).

قال الواحدي: "نزلت الآية في عوف بن مالك الأشجعي ﷺ، وذلك أن المشركين أسروا ابنًا له؛ فأتى رسول الله ﷺ، وشكا إليه الفاقة، وقال: إن العدو أسر ابني، وجزعت الأم، فما تأمرني؟ فقال النبي ﷺ: "**اتَّقِ الله واصبر، وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله**"، فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالت: نِعْمَ ما أَمَرَنَا به! فجعلا يقولان، فغفل العدو عن ابنه؛ فساق غَنَمَهُمْ، وجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت هذه الآية.

وروى- أيضًا- عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: "نزلت هذه الآية: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ في رجل من أشجع، كان فقيرًا، خفيف ذات اليد، كثير العيال، فأتى رسول الله ﷺ فسأله فقال: "**اتق الله واصبر**"، فرجع إلى أصحابه فقالوا: ما أعطاك رسول الله ﷺ؟ فقال: ما أعطاني شيئًا، قال: "**اتق الله واصبر**"، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى جاء ابنٌ لَهُ بِغَنَمٍ، وكان العدو أصابوه، فأتى رسول الله ﷺ فسأله عنها، وأخبره خبرها، فقال رسول الله ﷺ: "**إيَّاكها**"(٢).

ورواية عوف بن مالك الأشجعي التي ذكرها الواحدي ضَعَّفَهَا الشيخ الألباني رحمه الله تعالى(٣).

وأما حديث جابر بن عبد الله ﷺ الذي رواه الواحدي ففي إسناده عبيدُ بْنُ كثيرٍ العامريُّ الكوفيُّ التَّمَّارُ، وهو متروك(٤)؛ وبذلك يكون إسناد هذا الخبر ضعيفا جدًّا، والله

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.
(٢) الواحدي، **أسباب النزول**، (١/ ٤٣٥).
(٣) الألباني، **ضعيف الترغيب والترهيب**، رقم (٩٧٢)، (١/ ٤٨٢، ٤٨٣).
(٤) الذهبي، **المغني في الضعفاء**، (٢/ ٤٢٠).

أعلم.

وصدق التوكل على الله تعالى من أعظم حسب الله تعالى للعبد المؤمن؛ قال ابن القيم: "أي: كافِيه، ومَن كان الله كافيه وواقيه فلا مَطمع فيه لعدوِّهِ..."(١).

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ أي: كافيه ما أهمَّه من أمور الدنيا والآخرة؛ يقول الشوكاني: "أَيْ: وَمَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ فِيمَا نَابَهُ كَفَاهُ مَا أَهَمَّهُ"(٢). وكفاية الله تعالى للمتوكلين مُتحَقِّقَةٌ في العاجل أو في الآجل؛ يقول السعدي: "﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك؛ ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ أي: كافيه الأمرَ الذي تَوَكَّلَ عليه به"(٣).

وإن في تَوَكُّلِ المسلم على ربه سبحانه، ويقينه أنه– سبحانه– يَصْرِفُ عنه كلَّ سوءٍ وشرٍّ ما يجعل له مخرجًا مما هو فيه، وَيُيَسِّرُ له من أسباب الرزق من حيث لا يدري؛ قال ابن عاشور: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾(٤) في موضع العلة لجملة: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ أي: لا تستبعدوا وقوع ما وعدكم الله حين ترون أسبابَ ذلك مفقودةً؛ فإن الله إذا وَعَدَ وعدًا فقد أراده، وإذا أراد الله أمرًا يَسَّر أسبابَهُ"(٥)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إني لأعلم آيةً لو أخذ الناسُ بها لكفَتْهم، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾"، فما

(١) ابن القيم، **بدائع الفوائد**، (٢/ ٤٦٥).

(٢) الشوكاني، **فتح القدير**، (٥/ ٢٨٩).

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (ص ٨٦٩).

(٤) سورة الطلاق، جزء من الآية: ٣.

(٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٨/ ٣١٣).

زال يقولها ويُعيدها[1].

المبحث الثالث

المطلب الأول: أسباب كفاية الله تعالى عبادَهُ:

عرفنا فيما مضى من هذا البحث أن حسب الله تعالى الخاص لا يناله ولا يفوز به إلا من أخذ بأسبابه بقوة، وعلى قدر اجتهاد العبد وصدقه في الأخذ بها يكون الحسب من الخالق الحسيب ﷻ، ومن أسباب حسب الله تعالى عباده ما يلي:

أولًا: معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا: إن الإيمان بالله تعالى يجب أن يكون تصديقًا جازمًا بوجود الله ﷻ، واعتقادًا بوحدانية الله في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

وعقيدة أهل السنة والجماعة: هي إثبات أسماء الله ﷻ وصفاته، كما جاءت في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين؛ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

وكل اسم من أسماء الحسنى وصفة من صفاته سبحانه صفات الكمال تسد ثغرة في النفس البشرية؛ تُكَمِّل فيها نقصًا، وتجبر فيها خللًا، ومَن فَهِم أسماء الله الحسنى آمن بآثارها

(١) رواه الإمام أحمد في (الزهد)، رقم (٧٩٠)، (ص ١٢٠)، وابن ماجه في **سننه** رقم (٤٢٢٠)، كتاب (الزهد)، باب (الورع والتقوى)، (٢/ ١٤١١).

ورجال إسناد هذا الحديث ثقات إلا أنه منقطع؛ فإن أبا السليل ضُرَيْب بْنَ نُقَيْرٍ الجريري- راويه عن أبي ذر ﷺ- لم يُدرك أبا ذر، كما قال المزي، ينظر: **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، (١٣/ ٣١٠).

وقال البوصيري: "هَذَا إِسْنَاد رِجَاله ثِقَات إِلَّا أنه مُنْقَطع؛ أَبُو السَّلِيل لم يُدْرك أَبَا ذَر"، ينظر: **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، (٤/ ٢٤١).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

المترتبة عليها في الخلق والأمر؛ فترتب المرحوم وأسباب الرحمة على الراحم، وترتب المرئيات والمسموعات على السميع والبصير، وترتب المكفيّ وأسباب الكفاية على الحسيب الكافي، إلى آخر ذلك من الأسماء الحسنى؛ يقول العِز بن عبد السلام رحمه الله: "فَهْمُ معاني أسماء الله تعالى وسيلةٌ إلى معاملته بثمراتها من الخوف، والرجاء، والمهابة، والمحبة، والتوكل"(١).

ومن عرف حقيقة معنى لا إله إلا الله عِلم أن اسم (الله) دالٌّ على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا؛ لأنه دالٌّ على كونه معبودًا تألهه الخلائق تعظيمًا وخضوعًا وذلًّا وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب، واستعانةً به في الشدائد، وبذلك يكفيها خالقها كل أمر، ويُغنيها عن غيره.

ثانيًا: قوة الإيمان بالله تعالى: رسوخ المعرفة الحقيقية بأسماء الله تعالى وصفاته في النفس البشرية مِنْ أعظم موارد صدق الإيمان بالله ﷻ، والإيمان بالله تعالى أساس تحصيل حسب الله تعالى الخاص؛ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(٢). وقولهم هذا يدل دلالة واضحة على قوة إيمانهم، وشدة ثقتهم في نصر الله تعالى لهم مهما كثر عددُ أعدائهم، ومهما تعددت مظاهر قوتهم(٣)، وكلما ازدادت طاعة العبد لله ازدادَ حسب الله له؛ قال ابن القيم: "فالكفاية التامة مع العبودية التامة والناقصة؛ فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"(٤).

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾(٥):

(١) الغصن، **أسماء الله الحسنى**، (ص ١٢١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٣) طنطاوي، **التفسير الوسيط**، (٢/ ٣٤٢).

(٤) ابن القيم، **الوابل الصيب**، (ص ٦).

(٥) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

"أي: أليس من كرمه وجوده وعنايته بعبده الذي قام بعبوديته، وامتثل أمره، واجتنب نهيه، خصوصًا أكمل الخلق عبودية لربه، وهو مُحَمَّد ﷺ، فإن الله تعالى سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه مَن ناوأه بسوء"(١).

ومن هنا حثَّ النبيُّ ﷺ إلى العبادة وقت الفتن؛ فقال: «**العبادةُ في الهَرْج كهِجرةٍ إليَّ**»(٢)؛ وذلك لتكون الكفاية الخاصة في السلامة من الفتن والخروج منها، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾(٣)؛ فحسب الله تعالى للعبد بحسب تقواه.

ثالثًا: صدق التوكل على الله تعالى:

التوكل على الله تعالى عبادة قلبية جليلة، والتوكل عبادة من العبادات، وقد ذكرته منفردًا من باب ذكر الخاص بعد العام؛ فهو العلامة الحقيقية على حسن الظن بالله، والرضا به، والانقياد لأمره، وعلى حسب إيمان العبد يكون صدقه في تَوكله على الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(٤).

وربط الحسب بالتوكل من ربط الأسباب بمسبباتها، فالله ﷻ حسب مَن يثق به ويحسن التوكل عليه، ويحقق الالتجاء إليه في نوائبه ومهماته(٥)؛ فعن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو أنَّكم تتوكلون على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يَرزق الطير، تغدو**

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (ص ٧٢٤).

(٢) رواه الإمام مسلم في **صحيحه**، كتاب (الفتن وأشراط الساعة)، باب (فضل العبادة في الهرج)، (٤/ ٢٢٦٨)، رقم ١٣٠ (٢٩٤٨).

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٥) البدر، **فقه الأسماء الحسنى**، (ص ٢٣٦).

خماصًا، وتروح بطانًا»[١].

وقد دل القرآن على أن تحقيق العبودية لله وحسن التوكل عليه أمرٌ لابد منه لنيل حسب الله الخاص بأوليائه المؤمنين وعباده المتقين؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[٢][٣]، ونَبِيُّنا ﷺ نامَ تحت شجرة، وعَلَّق سَيفه بِتلك الشجرة، فجاءه رجل من المشركين فاخْتَرَط السيف، ثم قال: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قال رسول الله ﷺ: **«اللهُ»**. فَمَنعه الله بِثقته به وتَوَكّله عليه، وهذا ما رواه البخاري ومسلم في "صحيحيهما" عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه[٤].

رابعًا: متابعة الرسول ﷺ ظاهرًا وباطنًا: جاء الأمر بطاعة الرسول ﷺ في القرآن مقرونًا بطاعة الله تعالى وملازمًا لها؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾[٥]، وذلك لأن الرسول الكريم ﷺ يَهدي إلى صراط الله المستقيم، ويبلغ عن ربه تعالى شرعه القويم؛ قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى

---

(١) أخرجه الترمذي في **سننه**، كتاب (الزهد عن رسول الله ﷺ)، باب (في التوكل على الله)، (٤/ ٥٧٣)، رقم (٢٣٤٤)، وابن ماجه في **سننه**، كتاب (الزهد)، باب (التوكل واليقين)، (٢/ ١٣٩٤)، رقم (٤١٦٤)، وقال الترمذي بعده: "هذا حديث حَسَن صحيح".

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٣) البدر، **فقه الأسماء الحسنى**، (ص ٢٣٥).

(٤) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في **صحيحه**، كتاب (المغازي)، باب (غزوة ذات الرقاع)، (٤/ ٣٩، ٤٠)، رقم (٢٩١٠)، والإمام مسلم في **صحيحه**، كتاب (صلاة المسافرين وقصرها)، باب (صلاة الخوف)، (١/ ٥٧٦)، رقم ٣١١ (٨٤٣).

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴾[1]، وحسب الله تعالى لعبده المؤمن بحسب ما قام به من متابعة الرسول ﷺ ظاهرًا وباطنًا، والإحسان في اتباعه ﷺ في كل شئونه الدينية والدنيوية؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[2]، يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "وهذا وعد من الله لعباده المؤمنين المتبعين لرسوله ﷺ بالكفاية والنصرة على الأعداء، فإذا أتوا بالسبب الذي هو الإيمان والاتباع فلا بد أن يَكفيهم ما أَهَمَّهُمْ من أمور الدين والدنيا، وإنما تتخلف الكفاية بتخلف شرطها"[3].

المطلب الثاني: موانع حسب الله تعالى عبادَهُ:

ذكرنا فيما سبق أن حظَّ العبد في الحسب يكون على قدر جهده في تحصيل الإيمان، وقيامه بوظائف العبودية، لكنْ هناك موانع وقواطع في هذه الطريق تنقص من حسب الحسيب سبحانه للعبد، بل قد يخذله الله تعالى، ويَكِله إلى نفسه أو إلى غيره من الخلق، وهنا يكون الهلاك، **ومِن أشد هذه الموانع ما يلي:**

أولًا: الجهل بالرب سبحانه وعدم معرفته بصفاته: مَن لم يعرف الله تعالى بصفاته صفات الكمال، وأفعاله أفعال الحكمة والفضل والإحسان- نقص إيمانه، ولم يُحسن في عبادته لربه، وقد ذَمَّ الله تعالى طائفةً من عباده على عدم توقيرهم له عز وجل كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[4].

(١) سورة الشورى، الآيات: ٥٢، ٥٣.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.
(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (ص ٣٢٥).
(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الجهل بالله سُمٌّ مُهلك"(١)، وأجهل الناس الذي لم يَعرف ربَّه، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "لو عرف العبدُ كلَّ شيء ولم يعرف ربه فكأنه لم يعرف شيئًا"(٢)، ويقول: "الْجُهَّال بِاللَّه وأسمائه وَصِفَاته المعطلون لحقائقها يُبَغِّضُونَ اللهَ إِلَى خلقه، ويَقطعون عَلَيْهِم طَرِيق محبته والتودد إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ من حَيْثُ لَا يعلمُونَ"(٣). فالجاهل بالله تعالى عدو نفسه؛ فهو يسأل مَن لا يستحق السؤال، ويترك الملك الغني السميع البصير، وقد أَذَلَّ نفسه وأهانها عند الفقير العاجز، وإذا استعان بغير الله تعالى دفع نفسه للضياع والمذلة والهلاك؛ لأن الله تعالى وحده القادر، وغيره عاجز، وهو وحده القوي، وغيره ضعيف، وهو سبحانه الغني، وما سواه فقير، وهو خالق كل شيء؛ قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾(٤).

ثانيًا: ضعف اليقين والثقة بالله تعالى: إن الإيمان الصادق الذي افترضه الله تعالى هو اليقين الذي لا يُخالطه شكٌّ، وقد زكى الله تعالى المؤمنين بكمال إيمانهم اليقيني الصادق، فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾(٥).

وإن من أعظم موانع حسب الله تعالى عبادَهُ ضعفَ اليقين والثقة بالله تعالى؛ يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: "لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعًا؛ إذ بهما يحصل سكونُ القلبِ وطمأنينته؛ فالسكون في القلب شيء، واليقين شيء آخر، فكم من يقين لا

(١) ابن تيمية، **شرح العقيدة الأصفهانية**، (ص ١٦٦).

(٢) ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، (١/ ٦٨).

(٣) ابن القيم، **الفوائد**، (ص ١٥٩).

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٥) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

طمأنينة معه، كما قال تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾(١)، وعليه فإن ضعف اليقين يُورِثُ ضعفَ التوكل، وهو عائق ومانع من موانع كفاية الله تعالى لعبده، وضعف اليقين والثقة بالله إذا استحكم، وغلف القلب يقود إلى الخسران المبين وإلى طول الأمل، ويُورث التخبط في الدنيا، وعدم النظر إلى العواقب، ويُضعف العلاقة بين المسلم وربه؛ فيضعف التوكل على الله، ويزيد العبد خضوعًا واستكانة لغير الله، وما لهذا خُلِقَ المؤمن الذي خُلِقَ لعبادة الله وتوحيده، المتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات(٢).

ثالثًا: ضعف التوكل على الله تعالى، والركون إلى الأسباب:

التوكل على الله تعالى عبادة قلبية عظيمة، وهو شرط للإيمان؛ فمن علامات الإيمان: صدقُ التوكل على الله تعالى والثقة به، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٣)، وقد أمر سبحانه وتعالى بالتوكل عليه؛ قال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٥)، ومذهب أهل السنة والجماعة في التوكل هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في حصول المطلوب ودفع المكروه، مع الثقة به، وفعل الأسباب المأذون فيها، ولا بد من أمرين:

الأول: أن يكون الاعتماد على الله اعتمادًا صادقًا حقيقيًّا.

---

(١) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (٤/ ٢٦٩).
(٢) معتوقة الحساني، **التوكل على الله في القرآن**، (ص ٢٢٣).
(٣) سورة المائدة، جزء من الآية: ٢٣.
(٤) سورة النمل، الآية: ٧٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

الثاني: فعل الأسباب المأذون فيها[١].

قال ابن رجب رحمه الله: "التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وكِلَة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه"[٢].

يتبين لنا مما سبق: أن للتوكل ركنين؛ يقين القلب وتعلقه بالله تعالى، والأخذ بالأسباب المشروعة، فضعف التوكل على الله منشؤه من هذين السببين؛ إما ضعف اليقين في الله تعالى، وقد درسناه في السبب الثاني من موانع الكفاية كما سبق، وإمَّا الركون إلى الأسباب والتعلق بها ونسيان الخالق سبحانه مسبب الأسباب.

المطلب الثالث: أثر حسب الله تعالى عباده على الفرد والمجتمع:

عرفنا فيما سبق أن حسب الله الخاص لا يكون إلا لعباده المؤمنين، وحديثنا في هذا المبحث عن هذا الحسب الذي له ثمرات عظيمة وفوائد جليلة، تظهر على الفرد والمجتمع.

أولًا: أثر حسب الله عباده على الفرد:

أولًا: ثبات الإيمان وشجاعة القلب:

إنَّ مَنْ أَخَذَ بأسباب الحسب، وصدق في توكله على الله، ووثق فيه سبحانه- رزقه الله تبارك وتعالى قوة الإيمان، وشجاعة القلب، والثبات في أشد الظروف وأصعب المواقف، ولو كان فيها هلاكه؛ لأن رجاءه في الله تعالى ورغبته إليه وحده لا شريك له؛ قال رسول الله ﷺ: «**ومَن استكفى كفاه الله عز وجل**»[٣].

وقد كفى الله تعالى غلام أصحاب الأخدود المؤمن الذي استكفى بالله تعالى؛ فألقى الشجاعة في قلبه، وَثَبَّتَهُ على الإيمان؛ فتحدى الملكَ وجنودَه، وما استطاعوا أن ينالوا

(١) ابن عثيمين، **القول المفيد**، (٢/ ٨٧).

(٢) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، (ص ٤٩٧).

(٣) جزء من حديث أخرجه الإمام النسائي في **سننه**، كتاب (الزكاة)، من الملحق، (٥/ ٩٨) رقم (٢٥٩٥)، وقال عنه الشيخ الألباني: "حسن صحيح"، ينظر: الألباني، **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**، (١/ ٣٠) رقم (٢٥٩٥).

منه حتى لقي ربه، وفاز بالشهادة في الدنيا، وجنة الله ورضوانه في الآخرة[1]، وهكذا تكون كفاية الله الخاصة لأوليائه قوةً في الإيمان، وشجاعةً وثباتًا في المواقف العصيبة.

ثانيًا: الهداية والتوفيق والسداد:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[2]، قال الشيخ أبو بكر الجزائري: "ومَن يتوكل على الله- تعالى- في أمره فلا يفرط في أمر الله، ولا يُضيع حقوقه، فإن الله تعالى يَكفيه ما يهمه من أمر دينه ودنياه"[3].

إن الهداية والتوفيق والسداد من أهم الأمور التي يحرص عليها كل مسلم، وقد أنزل الله إلينا القرآن كتاب نور وهداية؛ قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[4]، "أي مُعينهم أو محبهم أو متولي أمورهم، والمراد بهم: مَن أراد الإيمان، أو ثبت في علمه تعالى إيمانُه، أو آمن بالفعل، يُخْرِجُهُمْ بهدايته وتوفيقه مِنَ الظُّلُماتِ التابعة للكفر، أو ظلمات المعاصي، أو الشُّبَهِ كيف كانت، إِلَى النُّورِ؛ أي: نور الإيمان، أو نور الطاعات، أو نور الإيقان بمراتبه، وعن الحسن أنه فَسَّرَ الإخراجَ هنا بالمنع، فالمعنى يَمْنَعُهُمْ عن أن يدخلوا في شيء من الظلمات"[5]. والنبي ﷺ أكثر مِن دعاء الله تعالى بالهداية، وأمر أصحابه بطلبها من الله تعالى؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إنِّي أسألُك الهُدى والتُّقى**

(١) ينظر: الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب (الزهد والرقائق)، باب (قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام)، (٤/ ٢٢٩٩، ٢٣٠٠) رقم ٧٣ (٣٠٠٥).

(٢) سورة الطلاق، جزء من الآية: ٣.

(٣) الجزائري، **أيسر التفاسير**، (٥/ ٣٧٥).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٥) الألوسي، **روح المعاني**، (٢/ ١٥).

والعفاف والغِنى»(١)، وعن عليٍّ ﷺ قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُل: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ**»(٢).

ثالثًا: المعية والولاية الخاصة:

الولاية الخاصة: هي ولاية المحبة والتوفيق والنصر والتأييد، وهذه الولاية لا تكون إلا بتحقق شروطها وانتفاء موانعها، وهذه الولاية ممتنعة عن الكافر؛ لانتفاء أصل الإيمان من قلبه، فمنعها كفره، أما المؤمن فحظُّه من هذه الولاية على قدر ما قام في قلبه من إيمان بالله تعالى وموالاة فيه ﷻ، وعلى قدر تقواه وما اكتسبته جوارحه من أفعال تُرْضِي اللهَ تعالى، وهذه الولاية تقتضي هداية الله تعالى لهم، ومنعهم أو إخراجهم من الكفر والضلال وظُلَم المعاصي؛ قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٣)، وتقتضي غفران ذنوبهم ورحمتهم؛ قال تعالى: ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾(٤)، وتقتضي التأييد والنصر على الأعداء؛ قال تعالى: ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾(٦)، ولما قال أبو سفيان يوم غزوة أُحُد: لنا الْعُزَّى ولا عزَّى لكم. قال النَّبِيُّ ﷺ للصحابة: «**أجيبوه**». قالوا: ما نقول؟ قال: «**قولوا:**

(١) أخرجه الإمام مسلم في **صحيحه**، كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، باب (التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل)، (٤/ ٢٠٨٧) رقم ٧٢ (٢٧٢١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في **صحيحه**، كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، باب (التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل)، (٤/ ٢٠٩٠) رقم ٧٨ (٢٧٢٥).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

(٥) سورة البقرة، جزء من الآية: ٢٨٦.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٥٠.

الله مولانا ولا مولى لكم»[1][2].

وهذه المعية الخاصَّة التي مقتضاها العون والتسديد، والحفظ والتأييد، واللطف بالعبيد- لا تكون إلا لعباد الله الذين تولاهم الله تعالى بحسبه المؤمنين المتقين الصابرين المحسنين؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[6]. وحظ العبد من من هذه المعية بقدر إيمانه وإخلاصه وتقواه وصبره وإحسانه، ومَن أتى بأصل الإيمان كان له نصيبه من معية الله تعالى، تزيد بزيادة إيمانه، وتنقص بنقصانه، وقد كفى الله تعالى أنبياءه ورسله وعباده الصالحين؛ فنصرهم، وَثَبَّتَهُمْ، وَنَجَّاهُمْ، وكانوا في معيته سبحانه، يحفظهم، ويكلؤهم بعنايته ورعايته، فهذا نبينا مُحَمَّد ﷺ استشعر معية الله تعالى؛ فاطمأن قلبه، ولم يفزع وهو في الغار شريدًا طريدًا، قد اتفق القوم على قتله؛ قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[7]، فجاءه حسبُ ربه، ووجد أثر مَعيته له في اللحظة والحال؛ قال تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ

(١) جزء من حديث رواه الإمام البخاري في **صحيحه**، كتاب (المغازي)، باب (غزوة أُحُد)، (٥/ ٩٤، ٩٥) رقم (٤٠٤٣).

(٢) البدر، **فقه الأسماء الحسنى**، (ص ١٦٩).

(٣) سورة الأنفال، جزء من الآية: ١٩.

(٤) سورة البقرة، جزء من الآية: ١٩٤.

(٥) سورة العنكبوت، جزء من الآية: ٦٩.

(٦) سورة البقرة، جزء من الآية: ١٥٣.

(٧) سورة التوبة، جزء من الآية: ٤٠.

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١].

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "ولاية الله تعالى لعبده هي بحسب إيمانه؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٣]، وكذلك معيته الخاصة هي لأهل الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، فإذا نقص الإيمان وضعف كان كان حظُّ العبد من ولاية الله له ومعيته الخاصة بقدر حظه من الإيمان، وكذلك النصر والتأييد الكامل إنما هو لأهل الإيمان الكامل؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾[٦]"[٧].

رابعًا: تفريج الهموم وتنفيس الكربات:

مِن ثمرات حسب الله تعالى للموحدين: تفريج الهموم وتنفيس الكروب وكشف الغموم، فالله سبحانه تعالى من سُنَّته ابتلاء العباد بالشر والخير فتنة لهم؛ ليَعلم مَنْ يلجأ منهم إليه بحسن عبادة وصدق استعانة، فإذا فعل العبدُ ذلك أتاه المدد والكفاية والعون من الحسيب الكافي سبحانه في علاه.

وهذا الحسب يقتضي سعادة العباد في الدنيا والآخرة، وراحة بالِهم وسكون أنفسهم وطمأنينة قلوبهم؛ فلا يحزنون على ما فات، ولا يخافون مما هو آت؛ لشهودهم كمال حسب

(١) بقية الآية السابقة.

(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية: ٦٨.

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية: ٢٥٧.

(٤) سورة الأنفال، جزء من الآية: ١٩.

(٥) سورة غافر، الآية ٥١.

(٦) سورة الصف، جزء من الآية: ١٤.

(٧) ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، (٢/ ١٨٢).

الله تعالى، وتيقن قلوبهم بذلك؛ قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[(١)]، أي: "أَلا إِنَّ أولياءَ اللهِ الذين يتولونه بالطاعة، ويتولاهم بالكرامة لاَ خَوْفٌ عليهم من لحوق مكروه، وَلا هم يحزنون لفوات مأمول"[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾[(٣)]، أي: "تتولاهم الملائكة مُثَبِّتِينَ لهم ومُبَشِّرين، يحثونهم في الدنيا على الخير، وَيُزَيِّنُونَهُ لهم، ويُرهبونهم عن الشر، ويُقبحونه في قلوبهم، وَيَدْعُونَ الله لهم، ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصًا عند الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط، وفي الجنة يُهنئونهم بكرامة ربهم، ويدخلون عليهم من كل باب: ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[(٤)(٥)].

ومن ثمرات هذا الحسب: الأمنُ عند لقاء العدو، والخوف من الظالمين؛ فمن اكتفى بالله تعالى، واطمأن لربِّه تسليمًا وتفويضًا وثقةً كفاه الله بقدرته وعزته وحكمته، فإبراهيم عليه السلام قال: حسبي الله؛ فَنَجَّاهُ الله من النار وشرِّ القوم الظالمين، ومُحَمَّد ﷺ حين اكتفى بربه تعالى وليًّا ونصيرًا قذف الله الرعب في قلوب أعدائه، وأنزل السكينة في قلوب أوليائه؛ فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا: إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم؛ فزادهم إيمانًا، وقالوا: حسبنا الله

(١) سورة يونس، الآية: ٦٢.
(٢) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (٣/ ١١٨).
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣١.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٢٤.
(٥) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (ص ٧٤٨).

ونعم الوكيل"[١].

وهذا الحسب يكون في كل موقف يصيب المسلمَ فيه هَمٌّ أو فَزَعٌ أو خوفٌ، وكذلك في كل شِدَّةٍ أو كربٍ أو مصيبةٍ، فيكون لسان حال العبد ومقاله الالتجاءَ إلى الله، والاكتفاءَ بحمايته وجنابه العظيم عن الخلق أجمعين.

وحسب الله للعباد المؤمنين تمتد ثمرته إلى الأمن والنجاة من كربات الآخرة، فعند النفخ في الصور يشتدُّ الكربُ العظيم على الناس؛ لذا أوصى النبيُّ ﷺ باللجوء إلى الله تعالى، وطلب حسبه وتأمينه للعباد في هذا الموقف العظيم، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**كيف أنعمُ وصاحبُ الصُّور قد التقم القرن، وحَنَى جبهته، ينتظر متى يُؤمر أن ينفخ**». قال: قلنا: يا رسول الله، فما نقول يومئذ؟ قال: "**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل**"[٢].

خامسًا: استغناء القلب بالله تعالى، وقطع الطمع في غيره:

أعظم ثمرةٍ يَنَالُهَا مَنْ كان الله تعالى حسبه، وأطيب أثرٍ يَجِدُهُ هو استغناء قلبه بالله تعالى عن كل ما سواه؛ فلا يلتفت لغير الله تعالى في طلب منفعة دينية من زيادةٍ في إيمان، أو توفيقٍ لعمل صالح، أو معونةٍ في فعل خير، ولا دنيويةٍ من كسبِ رزقٍ، أو سَعَةٍ في المعاش، أو صلاحِ ذُرِّيَّةٍ، "وحال المؤمن إذا تعلق بالله تعالى صار لا يمسي ويصبح إلا وقلبه معلق بالله، قال بعض العلماء: ما أَحَبَّ مؤمنٌ ربَّه إلا تَعَلَّقَ بالله في كل شيء يفعله ويقوله، ومَن تعلق قلبه بالله إنزالًا لحوائجه بالله، وَرَغَبًا فيما عند الله، ورهبًا مما يخافه ويؤذيه- يعني: يؤذي العبد- فإن الله جل وعلا كافيه،كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[٣]"[٤]. وعن أبي

(١) رواه الإمام البخاري في **صحيحه**، كتاب (التفسير)، باب (إن الناس قد جمعوا لكم)، (٦/ ٣٩) رقم (٤٥٦٣).

(٢) أخرجه ابن حبان في **صحيحه**، كتاب (الرقائق)، باب (الذكر؛ ذكر الأمر لمن انتظر النفخ في الصور أن يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل)، (٣/ ١٠٥) رقم (٨٢٣)، وإسناده صحيح.

(٣) سورة الطلاق، جزء من الآية: ٣.

(٤) أبو عبد الملك الحسينان، **هكذا كان الصالحون**، (ص ٥٥).

سعيد ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَمَنْ يَستعففْ يُعفَّه اللَّهُ، وَمَنْ يستغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتصبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعطِيَ أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصَّبر**"[1].

قال السعدي رحمه الله تعالى: "الاستغناء بالله، والثقة بكفايته، فإنَّه مَن يتوكل على الله فهو حسبه؛ فإن من استعف عما في أيدي الناس وعما يناله منهم أوجب له ذلك أن يَقْوَى تَعَلُّقُهُ بالله، ورجاؤه وطمعه في فضل الله وإحسانه، ويحسن ظنه وثقته بربه، والله تعالى عند حُسن ظنِّ عبده به؛ إن ظن خيرًا فله، وإن ظن غيره فله، وكل واحدٍ من الأمرين يمد الآخر فيُقويه، فكلما قوي تعلقه بالله ضعف تعلقه بالمخلوقين وبالعكس"[2]. ومن كان الله تعالى حسبه استغنى به في رزقه، وقطع الطمع فيما في أيدي الناس، وليس الْغِنَى بكثرة المال، ولكن الغنى غِنَى النفس؛ يقول الشيخ ابن عثيمين: "مَن يَستغن بما عند الله عما في أيدي الناس يُغنه الله ﷻ، وأما من يسأل الناس ويحتاج لما عندهم، فإنَّه سيبقي قلبه فقيرًا والعياذ بالله، ولا يَستغني، والغنيُّ غنيُّ القلب، فإذا استغني الإنسان بما عند الله عما في أيدي الناس أغناه الله عن الناس، وجعله عزيزَ النفسِ، بعيدًا عن السؤال"[3].

ومن اتقى الله وَتَعَلَّقَ قلبه بالرزاق ﷻ أغناه، وفتح عليه أبواب الرزق والخير، وسبَّبَ له أسباب الرزق من حيث لا يشعر، ولا يعلم؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾[4].

سادسًا: أثر الحسب على سلوك الفرد المسلم:

(١) متفق عليه: رواه الإمام البخاري في **صحيحه**، كتاب (الزكاة)، باب (الاستعفاف عن المسألة)، (٢/ ١٢٢، ١٢٣) رقم (١٤٦٩)، والإمام مسلم في **صحيحه**، كتاب (الزكاة)، باب (فضل التعفف والصبر)، (٢/ ٧٢٩) رقم ٢٤ (١٠٥٣).

(٢) السعدي، **بهجة الأبرار**، (ص ٨٨).

(٣) ابن عثيمين، **شرح رياض الصالحين**، (١/ ١٩٦).

(٤) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

مَن كان الله حسبه قَوِيَتْ هِمَّتُه وعزيمته وإرادته، فاجتهد يَسعى في أمور معاشه، وطلب مصالح حياته العاجلة والآجلة، واليقين بكفاية الله تعالى لا يَعني الكسل والعجز، وانتظار الكفاية بالقعود في أماكن العبادة، فصحابة الرسول ﷺ كانوا أكرم من كفاهم الله تعالى من الأمة، ومع ذلك كانوا رهبانًا في الليل، فرسانًا في النهار، انطلقوا ﷺ بهمة عالية، وعزيمة صادقة، وسعي صادقٍ، وحركة دائبة، فلم يستسلموا لهموم الحياة وعقبات الطريق، ولم يركنوا إلى الأعداء، ولم ينخدعوا بشعاراتهم، وقد بذلوا أسباب القوة والعلم، واجتهدوا في تحصيل أسباب الملك والسيادة، وحققوا أمر الله بذلك فسادوا وقادوا؛ لأنهم امتثلوا قول الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[1].

وكان قدوتهم وقدوتنا أجمعين ﷺ يعلمهم الجِد والاجتهاد والنشاط في بلوغ المعالي، ويَبث في نفوسهم الأمل وعدم اليأس، كما يعلمهم اليقين في الله، والثقة في كفايته، والثبات على دينه.

ويجب على المحتسب على الله تعالى أن يَرعى كفاية الله تعالى له، وأن يُعطي كفاية من يقوته؛ قال رسول الله ﷺ: **"كفى بالمرء إثمًا أن يَحبس عمَّن يملك قوته"**[2][3]. وإنَّ أظهر آثار الحسب في سلوك الفرد المسلم هو نصر دين الله تعالى بامتثاله ثم الدعوة إليه، والثبات في مواجهة الباطل، وإعداد نفسه للجهاد في سبيل الله بعلمه وماله ونفسه؛ لأنه أيقن أن حسب الله متحقق بتولي الصالحين ونصرهم.

ثانيًا: أثر حسب الله في صلاح المجتمع المسلم وقوته:

الإيمان بالله تعالى، وإفراده تعالى في ربوبيته وألوهيته، ومعرفته بأسمائه الحسنى وصفاته

(١) سورة الأنفال، جزء من الآية: ٦٠.

(٢) رواه الإمام مسلم في **صحيحه**، كتاب (الزكاة)، باب (فضل النفقة على العيال)، (٢/ ٦٩٢) رقم ٤٠ (٩٩٦).

(٣) القرطبي، **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، (ص ٤٢٦).

العليا قوةٌ دافعةٌ إلى المكرمات في سلوك الأفراد قولًا وعملًا؛ فيكون المجتمع السَّوي القوي الذي يرتقي في مراتب المجد، ويكون في مقدمة صفوف الأمم، وقد كان المجتمع الإسلامي الأول الذي تأسَّس على تقوى من الله ورضوان قويًّا ملتزمًا بمنهج الشريعة السمحة في العقائد والسلوك والآداب، فانطلق يفتح البلدان، ويسود الآفاق، وينشر الإسلام في كل مكان، وَيُعَلِّمُ الخير للبشرية أجمعين.

لقد اعترضَت طريقَ الصحابةِ ﷺ عقباتٌ كثيرةٌ من تكالب الأعداء وتحزبهم عليهم، وإعراض الناس عن دينهم وعدم قبولهم، واتهامهم بالجهل والغلظة، وإيذائهم في أموالهم ومصالح حياتهم، محن ومفزعات ما زادتهم إلا تَعَلُّقًا بالله وثقةً في وعده بالنصر، وقد أدركوا أن الله تعالى حسبهم وكافيهم؛ لأنهم عملوا بأسباب الحسب؛ فأحسنوا العمل، وبذلوا الجهد، واستفرغوا طاقتهم جهادًا في سبيل الله تعالى، وتعليمًا لدينه، وقيامًا بمصالح الشريعة في أنفسهم ومجتمعهم؛ فكان لهم التمكين في الأرض، والحفظ والنصرة وحسن الرعاية من ربِّهم ﷻ؛ قال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾(٤).

وفي مجتمعنا المعاصر يجب إحياء رُوح العِزَّة في قلوب المؤمنين، وإيقاظ هِمم أبنائه، وتقوية عزائمهم بقوة الإيمان والعمل الْمُخَلِّصِ في تخليص الأمة مِنْ ضَعْفِهَا وَذُلِّهَا وركونها إلى

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الفرقان، جزء من الآية: ٣١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٨.

الأعداء وانقيادها لأمم الكفر والضلال، ويجب تزكية أفراد المجتمع المسلم بتطهير قلوبهم وأخلاقهم بمبادئ الشرع الحنيف وآدابه. فالعزة كل العزة في الاستعانة بالله والاستغناء والاستكفاء به تعالى، والثقة بكمال قدرته وحسن تدبيره؛ قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]، والذُلُّ والصَّغَار للمنهزمين نفسيًّا الذين رضوا بموالاة الكفار واتِّباعهم والاستقواء بهم، ولو على حساب عقيدتهم والتنازل عن مبادئ دينهم؛ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[3]، "وهذا هو الواقع من أحوال المنافقين؛ ساء ظنهم بالله، وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عمَّا وراء ذلك؛ فاتخذوا الكافرين أولياء يَتَعَزَّزُونَ بهم ويستنصرون، والحال أن العزة لله جميعًا، فإن نواصي العباد بيده، ومشيئته نافذة فيهم، وقد تكَفَّل بنصر دينه وعباده المؤمنين، ولو تخلل ذلك بعضُ الامتحان لعباده المؤمنين، وإدالة العدو عليهم إدالة غير مستمرة؛ فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين"[4].

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

(٤) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (ص ٢٠٩).

الخاتمة

الحمد لله على ما يَسَّرَ وأعان، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن المتدبر لآيات القرآن الكريم يجد الحكمة والعدل والرحمة والفضل في أفعال الله تعالى، ومن ذلك حسبه ﷻ لخلقه، **وقد تَوَصَّلْتُ من خلال تتبعي لحسب الله تعالى في القرآن الكريم للنتائج التالية:**

١. أن الحسب فِعل الله تعالى وحده لا شريك له، يجب على العبد أن يَتيقنه، وأن يتعبد الله تعالى بآثاره.

٢. أن حسب الله تعالى عام للخلق أجمعين، وهذا مقتضى ربوبيته العامة، وخاص لعباده المؤمنين، ويَستلزم إفرادهم العبودية لله وكمال التعلق به سبحانه.

٣. أن حسب الله تعالى للمؤمن يكون بحسب كمال معرفته بربِّه الحسيب، ويقينه بكمال عدله وحكمته.

٤. التوكل فِعل العبد، والحسب فعل الرَّبِّ؛ فمَن أخلص التوكل فاز بتمام الكفاية.

٥. لحسب الله تعالى الخاص ثمراتٌ طيبةٌ في حياة الفرد المسلم خاصة والمجتمع عامة.

٦- أن تحقق حسب الله تعالى لأمتنا بالنصر والعزة والتمكين وسيادتها على الأمم مَرهون بأخذهم بأسباب الحسب، وإذكاء روح الإيمان الخالص، والعزيمة في صدق التوكل على الله تعالى، مع العمل الجاد، والأخذ بالأسباب المشروعة في جميع أبواب المعرفة البشرية.

أهم المقترحات:

على القيادات الإسلامية الجادة والعلماء والمفكرين والباحثين وطلاب العلم المسلمين- وضعُ تَصَوُّرٍ كامل ونظرية مستقلة لمواجهة ضَعْفِ الأمة وتبعيتها وتسلط العدو عليها، وذلك بوضع الدراسات والبحوث وعقد المؤتمرات وورش العمل وعرضها ونشرها على

وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة، ويكون في هذه الدراسات بيان أسباب حسب الله وما يقتضيه من النَّصر والعزة والتمكين، مستلهمين ذلك من الأحداث الجسيمة والمواقف العظيمة في سيرة الرسول ﷺ وصحابته الكرام الذين وجدوا حسب الله بالنصرة والأمن والثبات حين أخذوا بأسبابه، وأحسنوا الظَّنَّ بربهم، وصدقوا التوكل عليه مع عمل خالص، وسعي دائم، وثقة في وعده بكفاية المتوكلين عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

المصادر والمراجع:

١. أحمد بن حنبل، أبو عبد الله؛ أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (المتوفى: ٢٤١هـ)، **الزهد**، وضع حواشيه: مُحَمَّد عبد السلام شاهين، ط (١)، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م).

٢. الألباني، أبو عبد الرحمن؛ مُحَمَّد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري، (المتوفى: ١٤٢٠هـ):

- **السلسلة الصحيحة**، ط (١) لمكتبة المعارف، (الرياض، السعودية، مكتبة المعارف، عام النشر: من الجزء الأول إلى الرابع ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، والجزء السادس ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، والجزء السابع ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م).
- **ضعيف الترغيب والترهيب**، ط(١)، (الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).

٣. الألوسي، شهاب الدين، محمود بن عبد الله الحسيني، (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني**، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط (١)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

٤. البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، **فقه الأسماء الحسنى**، ط (١)، (الرياض: دار التوحيد للنشر، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).

٥. البخاري، أبو عبد الله؛ مُحَمَّد بن إسماعيل الجُعْفي، **صحيح البخاري؛ (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، المحقق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، ط (١)، (د. م: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).

٦. البغوي، محيي السنة، أبو مُحَمَّد؛ الحسين بن مسعود، (المتوفى: ٥١٠هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن؛ (تفسير البغوي)**، حققه وخرج أحاديثه: مُحَمَّد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، ط (٤)، (د. م: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).

٧. **البوصيري**، أبو العباس؛ شهاب الدِّين، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان الكناني الشافعي، (المتوفى: ٨٤٠هـ)، **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، المحقق: مُحَمَّد المنتقى الكشناوي، ط (٢)، (بيروت: دار العربية، ١٤٠٣هـ).

٨. البيضاوي، ناصر الدين، أبو سعيد؛ عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي، (المتوفى: ٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل**، المحقق: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، ط (١)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).

٩- ابن تيمية، تقي الدين، أبو العباس؛ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن مُحَمَّد الحراني الحنبلي الدمشقي، (المتوفى: ٧٢٨هـ)، **شرح العقيدة الأصفهانية**، المحقق: مُحَمَّد بن رياض الأحمد، ط (١)، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ).

١٠. الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر؛ أبو بكر، **أيسر التفاسير**، ط (٥)، (المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).

١١. ابن الجوزي، جمال الدين، أبو الفرج؛ عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد، (المتوفى: ٥٩٧هـ)، **زاد المسير**، المحقق: عبد الرزاق المهدي، ط (١)، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ).

١٢. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل؛ أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد، (المتوفى: ٨٥٢هـ)، **العجاب في بيان الأسباب**، المحقق: عبد الحكيم مُحَمَّد الأنيس، د. ط، (د. م: دار ابن الجوزي، د. ت).

١٣. الحسينان، أبو عبد الملك؛ خالد بن عبد الرحمن، **هكذا كان الصالحون**، د. ط، (د. م: مركز الفجر للإعلام، عام النشر: ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م).

١٤. أبو حيان، مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان؛ أثير الدين الأندلسي، (المتوفى: ٧٤٥هـ)، **البحر المحيط**، المحقق: صدقي مُحَمَّد جميل، د. ط، (بيروت: دار

الفكر، ١٤٢٠هـ).

١٥.الحليمي، الحسين بن الحسن بن مُحَّد بن حليم البخاري الجرجاني؛ أبو عبد الله، (المتوفى: ٤٠٣هـ)، **المنهاج في شُعب الإيمان**، المحقق: حلمي مُحَّد فودة، ط (١)، (د. م: دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

١٦. الخطَّابي، أبو سليمان؛ حمد بن مُحَّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، (المتوفى: ٣٨٨هـ)، **شأن الدعاء**، المحقق: أحمد يوسف الدَّقاق، ط (١، ٣)، (د. م: دار الثقافة العربية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، و١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).

١٧. الداخل، عبد العزيز بن داخل المطيري، **بيان فضل القرآن**، معهد آفاق التيسير، ط (١)، رمضان، ١٤٣٧هـ.

١٨. الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله؛ مُحَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، (المتوفى: ٧٤٨هـ)، **المغني في الضعفاء**، المحقق: الدكتور نور الدين عتر، د. ط، (د. م، د. ن، د. ت).

١٩. الرازي، زين الدين، أبو عبد الله؛ مُحَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، (المتوفى: ٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، المحقق: يوسف الشيخ مُحَّد، ط (٥)، (بيروت- صيدا، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).

٢٠. الرازي، أبو عبد الله؛ مُحَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، فخر الدين، خطيب الري، (المتوفى: ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب**، ط (٣)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

٢١. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم؛ الحسين بن مُحَّد، (المتوفى: ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط (١)، (دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ).

٢٢. ابن رجب، زين الدين، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي

ثم الدمشقي الحنبلي، (المتوفى: ٧٩٥هـ)، **جامع العلوم والحكم**، تحقيق: الدكتور مُحَمَّد الأحمدي أبو النور، ط (٢)، (د. م: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م).

٢٣.الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل؛ أبو إسحاق الزجاج، (المتوفى: ٣١١هـ)، **تفسير أسماء الله الحسنى**، المحقق: أحمد يوسف الدقاق، د. ط، (د. م: دار الثقافة العربية، د. ت).

٢٤. **السعدي**، أبو عبد الله؛ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، (المتوفى: ١٣٧٦هـ):

- **بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار**، المحقق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني، ط (١)، (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).
- **تفسير أسماء الله الحسنى**، المحقق: عبيد بن علي العبيد، العدد (١١٢)، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، السنة ٣٣، ١٤٢١هـ).
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط (١)، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

٢٥. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين، (المتوفى: ٩١١هـ)، **الدر المنثور**، د. ط، (بيروت: دار الفكر، د. ت).

٢٦. أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم: مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن سويلم؛ أبو شُهبة، (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، مكتبه السنة- القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٢٧. الشوكاني، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله اليمني، (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، ط (١)، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ).

٢٨. الطبري، أبو جعفر؛ مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (المتوفى:

٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن؛ (تفسير الطبري)**، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر: الدكتور عبد السند حسن يمامة، ط (١)، (مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).

٢٩. طنطاوي، مُحَمَّد سيد، **التفسير الوسيط**، ط (١)، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م).

٣٠. ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي، (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير؛ (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)**، د. ط، (تونس: الدار التونسية للنشر، سنة النشر: ١٩٨٤هـ).

٣١. **ابن عثيمين**، مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد، (المتوفى: ١٤٢١هـ):

- **شرح رياض الصَّالحين**، د. ط، (الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ).
- **القول المفيد**، ط (٢)، (السعودية: دار ابن الجوزي، محرم ١٤٢٤هـ).

٣٢. الغزالي، أبو حامد؛ مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطوسي، (المتوفى: ٥٠٥هـ)، **إحياء علوم الدين**، د. ط، (بيروت: دار المعرفة، د. ت).

٣٣. الغصن، عبد الله بن صالح بن عبد العزيز، **أسماء الله الحسنى**، ط (١)، (د. م: دار الوطن، ١٤١٧هـ).

٣٤. الفيروزآبادي، مجد الدين، أبو طاهر؛ مُحَمَّد بن يعقوب، (المتوفى: ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: مُحَمَّد نعيم العرقسُوسي، ط (٨)، (بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣٥. القرطبي، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ؛ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، (المتوفى: ٦٧١هـ):

- **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، تحقيق: الشيخ عرفان حسونة الدمشقي، ط (١)، (صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).
- **الجامع لأحكام القرآن؛ (تفسير القرطبي)**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط (٢)، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م).

٣٦. ابن القيم، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين؛ ابن قيم الجوزية، (المتوفى: ٧٥١هـ):

- **إغاثة اللهفان**، المحقق: مُحَمَّد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- **بدائع الفوائد**، د. ط، (بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي، د. ت).
- **الكافية الشافية؛ (نونية ابن القيم)**، ط (٢)، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ).

٣٧. ابن كثير، أبو الفداء؛ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (المتوفى: ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم؛ (تفسير ابن كثير)**، المحقق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، ط (٢)، (د. م: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).

٣٨. ابن ماجه، أبو عبد الله؛ مُحَمَّد بن يزيد القزويني، **وماجه:** اسم أبيه: يزيد، (المتوفى: ٢٧٣هـ)، **السنن**، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، د. ط، (د. م: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، د. ت).

٣٩. المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف؛ أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي مُحَمَّد القضاعي الكلبي، (المتوفى: ٧٤٢هـ)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، المحقق: د. بشَّار عواد معروف، ط (١)، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م).

٤٠. مسلم، مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري، (المتوفى: ٢٦١هـ)، **صحيح مسلم؛ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله**

ﷺ، المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، د. ط، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت).

٤١. معتوقة الحساني، **التوكل على الله في القرآن؛ (دراسة في التفسير الموضوعي)**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٢١هـ.

٤٢. ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل؛ جمال الدِّين الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (المتوفى: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط (٣)، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

٤٣. النجدي، مُحَمَّد، **النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى**، د. ط، (الكويت: مكتبة الإمام الذهبي، د. ت).

٤٤. الواحدي، أبو الحسن؛ علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي النيسابوري الشافعي، (المتوفى: ٤٦٨هـ)، **أسباب النزول**، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط (٢)، (الدمام: دار الإصلاح، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).